215 - ـ فصل : تذكر أحوال الرسول صلى ا عليه و سلم .

من أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن ا D ففي أفعاله و أن يدري من أين ينشأ الرضى فليتفكر في أحوال رسول ا صلى ا عليه و سلم .

فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق سبحانه رأى أن الخالق مالك و للمالك التصرف في مملوكه و رآه حكيما لا يصنع شيئا عبثا فسلم تسليم مملوك لحكيم فكانت العجائب تجري عليه و لا يوجد منه تغير و لا من الطبع تأفف .

و لا يقول بلسان الحال : لو كان كذا بل يثبت للأقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح .

هذا سيد الرسل صلى ا عليه و سلم بعث إلى الخلق وحده و بالكفر قد ملأ الآفاق فجعل يفر من مكان إلى مكان و استتر في دار الخيزران و هم يضربونه إذا خرج و يدمون عقبه و شق السلى على ظهره و هو ساكت ساكن .

و يخرج كل موسم فيقول : من يؤويني من ينصرني ؟ .

ثم خرج من مكة فلم يقدر على العود إلا في جوار كافر و لم يوجد من الطبع تأنف و لا من الباطن اعتراض .

إذ لو كان غيره لقال : يا رب أنت مالك الخلق و قارد على النصر فلم أذل ؟ .

كما قال عمر Bه يوم صلح الحديبية : ألسنا على الحق ؟ فلم نعطي الدنية في ديننا ؟ .

و لما قال هذا قال له الرسول صلى ا عليه و سلم : [إني عبد ا و لن يضيعني] فجمعت الكلمتان الأصلين اللذين ذكرناهما .

فقوله : إني عبد ا إقرار بالملك و كأنه قال : أنا مملوك يفعل بي ما يشاء .

و قوله : لن يضيعني بيان حكمته و أنه لا يفعل شيئا عبثا .

ثم يبتلي بالجموع فيثد الحجر و خزائن السموات و الأرض .

و تقتل أصحابه و يشج وجهه و تكسر رباعيته و يمثل بعمه و هو ساكت .

ثم يرزق ابنا و يسلب منه فيتعلل بالحسن و الحسين فيخبر بما سيجري عليهما .

و يسكن بالطبع إلى عائشة Bها فينغص عيشه بقذفها .

و يبالغ في إظهار المعجزات فيقام في وجهه مسيلمة و العنسي و ابن صياد .

و يقيم ناموس الأمانة و الصدق فيقال : كذاب ساحر ثم يعلقه المرض كما يوعك رجلان و هو ساكن ساكت فإن أخبر بحاله فليعلم الصبر .

ثم يشدد عليه الموت فيسلب روحه الشريفة و هو مضطجع في كساء ملبد و إزار غليظ و ليس

عندهم زيت يوقد به المصباح ليلتئذ .

هذا شيء ما قدر على الصبر عليه كما ينبغي نبي قلبه و لو ابتليت به الملائكة ما صبرت .

هذا آدم عليه السلام يباح له الجنة سوى شجرة فلا يقع ذباب حرصه إلا على العقر .

و نبينا صلى ا عليه و سلم يقول في المباح : [مالي و للدنيا !] .

و هذا نوح عليه السلام يضج مما لاقى فيصبح من كمد وجده { لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا } و نبينا صلى ا عليه و سلم يقول : [اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون] .

هذا الكليم موسى صلى ا عليه و سلم يستغيث عند عبادة قومه العجل على القدر قائلا { إن هي إلا فتنتك } و يوجه إليه ملك الموت فيقلع عينه .

و عيسى صلى ا عليه و سلم يقول : [إن صرفت الموت عن أحد فاصرفه عني] .

و نبينا صلى ا عليه و سلم يخير بين البقاء و الموت فيختار الرحيل إلى الرفيق الأعلى .

هذا سليمان صلى ا عليه و سلم يقول : هب لي ملكا و نبينا صلى ا عليه و سلم يقول : [اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا] .

هذا و ا فعل رجل عرف الوجود و الموجود فماتت أغراضه و سكنت اعتراضاته فصار هواه فيما يجري